حل شِفرة دافِنشي

إعداد الأخ مازن حاماتي

لقد أثارت رواية "Dan Brown" العديد من الأسئلة الخطيرة حول أصول وأقوال المسيحية، والتي دفعت الكثيرين، للتساؤل عمّا هو حقيقي وعمّا هو ليس حقيقياً. وهو حق طبيعي ومقدّس. فمن حق الإنسان (إي إنسان) أن يسأل، ويُجاوب باحترام، ولو اختلف معي بالرأي. بشرط أن يكون السؤال ليس بهدف التجريح أو التشهير، أو الإساءة للآخر. ومن هنا، فقد وجدنا أنه من الجيد لنا أن نقدم بعض الإجابات التي تفصل ما بين ما هو حقيقي و ما هو مزيف، مصلين أن يفقنا الله بهذه المحاولة المتواضعة.

بدايةً لا بُدَّ لنا من الاعتراف بأن تأليف كتاب رائج يحتل المرتبة الأولى عالميّاً في المبيعات ليس بالأمر السهل. فكتاب "شيفرة دافنشي"، (The Da Vinci Code)، فيه ما يكفي من العناصر التي تؤهلّه لهذا النّجاح. وقد أحدث صُدوره ثورة في عالم الخيال، وهو يُشكّل مادّة دسمة لفيلم يصوّر علاقات غراميّة مثيرة لشخصيات مهمّه. كما أنه يُعيد كتابة الرسالة المسيحية بشكل مُختلف يروق لكثيرين.

الصفحة الأولى من هذا الكتاب، والّتي تسبق القصّة، وهي تحت عنوان " الحقيقة " تُعلن للقارىء أنَّ جميع الأعمال الفنيّة والمعماريّة، وكل الوثائق والطّقوس السّرّية المصّورة في هذه الرّواية صحيحة ومؤكدة، ولكن هذه الجملة بحد ذاتها هي من صنع الخيال. فقد ذكر المؤلّف في كتابه ثماني مرّات أنّه يقتبس من " مؤرخي الفنّ الدّين والأكاديميّين " من دون الإفصاح عن أسماء هؤلاء.

وفي كلّ مرّة كان " دان براون" يظهر وكأنّه يتكلّم على أشخاص حقيقيّين، وإلاّ أنّ كلامه، في الواقع، لم يكن إلاّ وهماً زائفاً. ويسأل القارئ : من هم هؤلاء المؤرِّخون؟ لماذا لم لا يذكر أسماءهم؟ ما هي المؤهّلات والامتيازات والمواقع لعلميّة التي يحتلّونها؟ ما هي نسبة المؤرخين الذين يؤيدون فعليّاً ما يكتبه " براون " ؟ ولا يصل المرء إلاّ إلى استنتاج وحيد: إنَّ " دان براون " يكتب ببساطة روايته الخيالية، وهو بالتالي لا يملك أسماء فعليّة ليكشفها.

خيال يُسمّى حقائق واقعيّة

يقول المحقّق الصّحفي " دايفيد شوكارتز " في كتابه " أسرار الشّفرة " إنّه سجّل تسعة وستّين خطأً واقعيّاً، ثمانية أخطاء منها يمكن اعتبارها عاديّة، أمّا الأخطاء الواحد والستون الباقية فهي أخطاء تاريخيّة جسيمة. والملاحظ أنَّ هذه الأخطاء هي بنسبة خطأ واحد لكلّ سبع صفحات ونصف، وأن اثنين من أصل كلّ ثلاثة " وقائع " يثيرها براون هي فعلياً زائفة! كان التغاضي عن هذه الأخطاء ممكناً لو أنّها لم تتضمّن قضايا تتعلّق باللّه ويسوع

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

المسيح والكتاب المقدّس، فلا أحد يرضى التّضليل في مواضيع كهذه. ونقول في هذه النقطة : إنّ كيفيّة تجاوب الإنسان مع يسوع المسيح تُحدّد مكان أبديّته.

فمن نحو الكتاب القدّس، يقول " دان براون " مثلاً إنّ الكتاب المقدّس قد تطوّر عبر الترجمات والإضافات والطّبعات المَنَقّحة الّتي لا تُعدّ. لكنّ حقيقة الأمر هي أنّه لدينا حوالي خمس وعشرين ألف مخطوطة للعهد الجديد، أي ما يفوق كثيراً جداً عدد المخطوطات المتوفّرة لأيّ كتاب قديم آخر، الأمر الّذي يجعلنا نثق بأنّنا نملك النّصوص الأصليّة. أمّا التّرجمة، فتهدف إلى تأمين ترجمات أمينة ودقيقة وبلُغة معاصِرة لتلك الوثائق المكتوبة باللّغات الأصليّة.

قال محرّرو الترجمة الإنكليزية المعروفة (R.S.V.) في مقدمتهم لترجمتهم: يتّضح للقارىء المدقّق من ترجمتنا عام ١٩٤٦، وترجمتي عام ١٨٨١ و ١٩٠١ أن تنقيح الترجمة لم يؤثّر على أيّة عقيدة مسيحيّة، لسبب بسيط وهو أن آلاف القراءات المختلفة لم تستدعِ إيّ تغيير في العقيدة المسيحية.

وفي ما يختصّ باللّه، فهو شخص حقيقيّ، وأمّا إذا كان ذكراً أو أنثى، فهذا الأمر لم يكن موضوع نقاش عند كُتّاب الأسفار المقدّسة كما هو بالنّسبة إلى " براون ". نقرأ في العهد القديم عن حضور " الشّكينة " وهي ليست أنثى تُعادل اللّه، بل بالأحرى هي غيمة مجد اللّه كما كانت تنزل في الهيكل. هذه الأمور واضحة جدّاً في الكتاب المقدس، دون أن ننسى شهادة الرّبّ يسوع في (يوحنا ٤ : ٢٤) اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» ويتساءل المرء لماذا يعتقد " براون " أنّ قرّاءه يسهل خداعهم.

الأناجيل: يقول " دا فِنشي " في الأصل كان هنالك أكثر من ثمانمئة إنجيل تذكر سيرة يسوع. نقول: هذا أيضاً ليس صحيحاً، ففي الأعوام الثّلاثمئة الأولى بعد المسيح، كان هنالك حوالي خمس عشرة سيرة، أربع منها هي الأناجيل الأربعة، الّتي تُشكّل العهد الجديد وهو جزء من الكتاب المقدس. وأبرز ما يُميّز الأناجيل الأربعة: (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) هو كونها قد كتبها شهود عيان، بينما الكتابات الأخرى ليس سوى أساطير.

- ونشير هنا إلى المخطوطة السينائيَّة x (01) وهي أهم المخطُوطات الجلدية. إكتشفها عالم الآثار الروسي (تشيندُروف). أهداها إلى قيصر روسيا عام ١٨٦٢ .اشتراها المتحَف البريطاني بمبلغ مائة ألف جنيه سترليني. تاريخها (٣٥٠ – ٤٠٠ م). وتحتوي معظم العهد القديم، وكُل العهد الجديد ورسالة برنابا وجزء من كتاب راعي هرماس.
- وقال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه " حياة المسيح " (كتاب الهلال – يناير ١٩٥٨ : ليس من الصّواب أن يُقال إن الأناجيل (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) لا يُعَوَّل عليها في تاريخ السيد المسيح، لأنها كتبت عن سماع بعيد، ولأنها في أصلها مرجع واحد متعدّد النَّقَلة والنُسّاخ. وإنما الصّواب أنها العُمدة الوحيدة في كتابة ذلك التاريخ،والذي لم نجد بين أيدينا مرجعاً أوفى منها لدرس حياة المسيح والإحاطة بأطوار الرسالة وملابساتها إذ هي تضمنت أقوالاً في مناسباتها لا يسهل القول باختلافها.

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

أما مخطوطات البحر الميّت الّتي وُجدت في العام ١٩٤٧، والّتي بحسب " دان براون " قد اكتُشفت في العام ١٩٥٠ وقد أخفتها الكنيسة الكاثوليكيّة لإمكانيّة احتوائها معلومات تؤذي سمعة المسيح والديانة المسيحية.

إن مخطوطات البحر الميّت قد كُتبت بجملتها قبل أيّام المسيح (١٠٠ق.م) لذلك فهي بالتّأكيد لا تذكر أي شيء عن يسوع. ويكمن سبب تأخير نشرها في صعوبة جمع أجزائها الصّغيرة، لكنّها متوفرة ويمكن قراءتها اليوم.

أمّا بالنسبة إلى قسطنطين وإصداره كتاباً مقدّساً جديداً، فإن العهد الجديد قد أُثبتَ وضعه منذ مئة سنة قبل قسطنطين! ولم يكن هو من غيّر يوم الرّبّ من السّبت إلى الأحد كما يدّعي " براون ". خصوصاً أنّنا نقرأ في الكتاب المقدّس، أنّ أتباع يسوع الأوائل كانوا يقيمون العبادة يوم الأحد ليتذكروا يسوع الّذي مات عن خطاياهم على الصّليب ثمّ قام ثانية في أوّل أيّام الأسبوع، أي يوم الأحد.

ألوهية يسوع : هنالك أكثر من خمسمئة آية في العهد الجديد، تؤكّد أنّ يسوع هو اللّه نفسه. فاللّه أخذ بنفسه جسداً إنسانيّاً، وصار يسوع في الوقت عينه إلهاً حقّاً وإنساناً حقّاً. لم يكن مجمع " نيقية " هو الّذي اقرّ بألوهية المسيح. لكن، عندما جاء من يُشكّك في ألوهية المسيح، كما يفعل " براون " اليوم، اجتمع القادة المسيحيّون في ذلك المجمع وحسموا الجدل، وردّوا على التعليم الخاطىء، وجاءت نتيجة التصويت ٣١٦ شخصاً (حوالي ٩٩%) مع ألوهية المسيح مقابل شخصين اثنين (أقل من ١ %) ضدّها، وقد اعتبر " براون " هذا التّصويت متقارب النّتائج نسبيّاً!

زواج المسيح:

يذكر كتاب " دافنشي كود " أنّ يسوع كان متزوّجاً من مريم المجدليّة (المذكورة في الكتاب المقدس ثلاث مرّات أو أربع فقط) وقد أنجبا ولداً. وهذه الفكرة ليست بجديدة فقد كُتبَ عنها للمرّة الأولى بعد المسيح بثمانمئة سنة. إلا أنّ ما يكتبه " دان براون " هو بلا شكّ من نتاج خياله الجامح. ليس لأن هنالك مشكلة في موضوع الزواج (فهو ترتيب الله للإنسان، وهو مقدّس، ومن يتزوج لا يُخطيْ) لكن نقول في موضوع زواج المسيح:

لا وجود لأي وثيقة قديمة تقول إنّ يسوع كان متزوّجاً، ثانياً الرب يسوع وهو الاقنوم الثاني لم يتجسد بهدف الزواج وإقامة عائلة، لكن لرسالة محددة الهدف والزمان، وهي (الفداء) ولهذا الغرض المجيد تجسد المسيح. وعندما تمم عمل الفداء بموته على الصليب قال ((قد أُكمل)).وهذا ما وضحه الرسول بولس في فيلبي ٢ : ٨ ٦الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للَّهِ. ٧لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. ٨وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. ٩لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ .

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

كما يدّعي " دان براو" الذي يشير إلى فرسان الهيكل، ويقول إنّهم وَجدوا تحت هيكل أورشليم وثائق سريّة تحتوي معلومات محرَّمة عن يسوع. ولكن، لا أحد سواه يعلم بأمر هذه الوثائق الّتي لم يتمكّن من تقديمها أو إبرازها.

الجمعيّات السّريّة

يحبّ " دان براون " الجمعيّات السّرّيّة. ويقول إنّ دير رهبان "سايون" كان مكلّفاً بحراسة أسرار فرسان الهيكل وقد كان يترأسّه أشخاص مثل " اسحق نيوتن " و" ليونارد دافنشي ". لكنّ " بيار بلانتار"، وهو أوّل من كشف عن الأمر، قد شهد في المحكمة في العام ١٩٩٣ ، وأقسم أنّه قد اختلَ الأمر برمته.

لماذا يبقى " دان براون" مصراً على أقواله، في حين أنّ كُتاباً عديدين أكّدوا أخطاءه الجسيمة والمتكررة؟

فهو على غرار الكتب الّتي تختلق نظريّات المؤامرة ، يعطي قرّاءه مبرّرات لعدم التكلّم على يسوع المسيح بوقار وجدّيّة. أما الكتاب لمقدّس، فيُحذّرنا من اتّباع الخرافات الموروثة والموضوعة في قوالب جذّابة بهدف التّضليل. ويعتبر " نابليون" أنّ ما يؤمن به النّاس من غرائب الأمور غير الموجودة في الكتاب المقدّس هو أمر غريب، وما هذه الغرابة إلاّ لأنّ في داخل كلّ إنسان عداء لله بسبب طبيعته الخاطئة.

وإن كان " دان براون " ينتقد الكنيسة لكونها أذنبت في بعض الحقبات بتأييد الفاشستيّة، الّتي تُخضِع الفرد وحقوقه إخضاعاً كاملاً لمصلحة الدّولة، فإن مسيحيّة الكتاب المقدّس لا تؤيّد سوء استعمال السّلطة. والديانة المسيحيّة ليست عدوّة للمرأة كما يدعي " براون " ، بل على العكس، إذ أنّ يسوع قد حرّر المرأة بأفعاله وأقواله.

صليب المسيح

موت المسيح وقيامته لا يظهران مطلقاً في كتاب " دا فنشي ود " على الرغم من أنّهما محور الإيمان المسيحيّ ورسالته. الدّيانة المسيحيّة ليست مجرّد نصيحة جيدّة وإنّما هي أخبارٌ سارةّ. فبعد أن كنّا أمواتاً بالذّنوب والخطايا الّتي تفصلنا عن الله وتجعلنا تحت الدّينونة، جاء المسيح ليحمل أحزاننا ويتحمل أوجاعنا. وهو عندما عُلّق على الصّليب دفع عقاب خطايانا، وجُرح لأجل معاصينا، وقد وَضَعَ اللّه عليه إثم جميعنا. وإذ حمل خطايانا في جسده، رفّعه اللّه وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثوَ باسم يسوع كل ركبة ممّن في السّماء ومن على الأرض، ولكي يعترف كلّ لسان أنّ يسوع المسيح هو ربّ لمجد اللّه الآب.

يا له من فرق واضح بين يسوع الكتاب المقدّس وبين الصورة الضبابية التي تعكسها رواية " دان براون " عن يسوع. ويُخطئ " براون " بقوله : " إن معظم النّاس يحتفظون بسجل عن أعمالهم"، إذذ إن شهود عيان هم الذين دوّنوا أنّ يسوع وُلِد، وعاش، وعلّم، وخدم،" وأن المسيح مات من أجل خطايانا... وأنّه دُفن ... وأنّه قام في اليوم الّثالث حسب الكتب.

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

يجب علينا آنا وآنت آلا نُنفِق مالنا على رواية مليئة بالأخطاء الفاضحة لأنها لا تفيدنا. يحتاج الإنسان إلى معلومات صحيحة ودقيقة ومبرهَنَة ومُختَبَرة فعليُاً. لذلك اقرأ (إنجيل متّى ، و إنجيل مرقس، و إنجيل لوقا، و إنجيل يوحنّا) و تَعرَّف إلى يسوع الحقيقيّ. اجعله رباً على حياتك، اطلب منه أن يُخلّصك ويصبح صديقك إلى لأبد. من الخطأ إعادة كتابة التّاريخ، ومن الخطأ ابتكار يسوع آخر لا يبالي بحياتنا و لا يقدّم لنا أيّ تحدٍّ، حتّى ولو أدّى ذلك إلى كتاب رائج جدّاً يُعَدّ الأكثر مبيعاً ويعود بربح ماليّ كبير على كاتبه وناشره. الأمر الأهمّ هو أن تعرف بأنّه بإمكانك إقامة علاقة صحيحة مع اللّه، من خلال يسوع المسيح الّذي يحبّنا وقد أتى إلى العالم لأجلنا، لا سرّاً مكتوماً في ذلك!

أرجو أن تذكروني بصلواتكم، منتظراً مشاركاتكم وأرائكم.

الأخ مازن حاماتي

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com